العرب
السبت 2021/10/09
السنة 44 العدد 12204

شمال أفريقيا يحتاج إلى المزيد من الاهتمام الأميركي، لكن هل سيحصل عليه؟

إلين لايبسون
مديرة برنامج الأمن الدولي – جامعة جورج ميسون

لعقود من الزمن احتلت منطقة شمال أفريقيا المرتبة الثانية على صعيد اهتمامات ومصالح السياسة الأميركية في الشرق الأوسط، فلم يكن لها دور حيوي في عملية السلام الإسرائيلية – الفلسطينية، كما لم يكن لديها حضور في ما يخص التحديات الأمنية في منطقة الخليج. وعادة ما تكون بلدان شمال أفريقيا من المغرب إلى ليبيا (باستثناء مصر) فكرة غائبة عن كاتب الاستراتيجيات الأميركية.

ووفقًا لتقرير صدر مؤخرًا عن مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي ومعهد الولايات المتحدة للسلام، تُلزم زيادة نشاط روسيا والصين في المنطقة الولايات المتحدة بتوضيح مصالحها السياسية وإعادة ترتيب أولوياتها. ويمكن لمثل هذا التقرير –إلى جانب الدراسات الأخرى– المساعدة على تشكيل السياسة الرسمية، ويقدم هذا التقرير نهجًا مفيدًا لإدارة جو بايدن.

قد لا تكون الولايات المتحدة اللاعب الأكثر أهمية في شمال أفريقيا لكن يمكنها استخدام نفوذها لتشكيل التطورات الإقليمية ومنع القوى التحريفية مثل روسيا والصين من مد نفوذها وعرقلة مسار الإصلاحات السياسية والاقتصادية

وتُعد دول المغرب العربي صورة مصغرة لأجندة الشرق الأوسط والبحر المتوسط، بدءًا بقضايا فشل أنظمة الحكم وتعثرها، ومرورا بالضغوط الاقتصادية والتطرف بنوعيه –المحلي والمستورد– ووصولا إلى أنماط الهجرة غير الشرعية. كما تُعد دول المغرب العربي منصة غنية بالأمثلة التي تساعد على دراسة الأنظمة السياسية، مثل النظام الملكي الحديث في المغرب، فضلاً عن وجود دولتين غنيتين بالنفط واحدة تائهة في غياهب الفوضى (ليبيا) وأخرى تتبع نظاما استبداديا (الجزائر). أما تونس فهي البلد الوحيد من دول الربيع العربي الذي استطاع الوصول إلى مرتبة "حر" وفق الفهارس العالمية للممارسات الديمقراطية.

وتقر الدراسة بوجود تنافس على جذب اهتمام صانعي السياسة الأميركية، خاصة أن الإدارات الأميركية المتعاقبة قد أعربت عن نيتها تجنب الانخراط في قضايا الشرق الأوسط، والتركيز بدلاً من ذلك على آسيا. لكن المؤلفين وضعوا بعناية نهجًا سياسيًا مبنيا على النظرة العالمية لإدارة بايدن، وليس لديهم توقعات خيالية حول احتمال أن تصبح هذه المنطقة أولوية جديدة لواشنطن، كما يقترحون العمل يدًا بيد مع الحلفاء والمؤسسات الدولية، عوضا عن استراتيجية تقودها الولايات المتحدة بالتحالف مع دول أخرى أو خطة تعمل على ضوئها الولايات المتحدة بمفردها.

ووفق المنظور التاريخي حظيت منطقة شمال أفريقيا باهتمام كبير من الولايات المتحدة، بدءًا من إقامة العلاقات الدبلوماسية مع المغرب في عام 1786، ومرورا بحرب 1801 – 1805 ضد قراصنة الساحل البربري أو ما يسمى اليوم ليبيا، ووصولا إلى دورها المهم في الحرب العالمية الثانية والحرب الباردة من خلال قواعد في المغرب وتونس وليبيا. لكن في العقود الأخيرة ركزت سياسة الولايات المتحدة في العالم العربي على منطقة الخليج أو على السلام العربي – الإسرائيلي، ونتيجة لذلك شعرت منطقة شمال أفريقيا بتجاهل صانع السياسة الأميركي.

وتعد المساعدات والمنح الأميركية متواضعة وبسيطة جداً إلى درجة أن معظم التونسيين والمغاربة لم يسمعوا بالبرامج السرية التي تعزز الحكم والإصلاحات الاقتصادية. ولئن وافق المغاربة على صفقة إدارة دونالد ترامب بالتطبيع مع إسرائيل مقابل اعتراف الولايات المتحدة بمطالب المغرب المتعلقة بالصحراء المغربية إلا أن المغرب يشعر بخيبة الأمل الآن، لأن البيت الأبيض تحت قيادة بايدن لم يتبنّ صفقة الصحراء التي ألغت عقودًا من الدبلوماسية الأميركية للوصول إلى حل تفاوضي لهذا الصراع. بدلاً من ذلك تقوم الإدارة الحالية بمراجعة الملف، ولا ترفض أو تؤكد الاتفاقية التي تم التوصل إليها في عهد ترامب.

ويؤمن مؤلفا الدراسة الجديدة، سارة يركس وتوماس هيل، بضرورة المشاركة الأميركية المستدامة في المنطقة، ليس فقط بناءً على تاريخ الالتزامات السابقة أو على المزايا الدائمة لتعزيز الاستقرار من خلال تحسين الحكم، ولكن يقوم ذلك الإيمان على المستجدات الأخيرة؛ حيث أن روسيا والصين حريصتان كل الحرص على ملء أي فراغ تتركه الولايات المتحدة أو الاتحاد الأوروبي وراءهما. ومن وجهة نظرهما وضعت روسيا بالفعل استراتيجية أمنية مع ليبيا باعتبارها المحور الرئيسي، واستخدمت الصين مبادرة الحزام والطريق لإغراء كل دولة من دول شمال أفريقيا بعقد اتفاقيات اقتصادية معها. وتُعد الصين الآن أكبر شريك تجاري للجزائر ومصر.

ويقدم كل من يركس وهيل الحُجج على أن الصين تعمل الآن على تعزيز التكامل الاقتصادي الإقليمي، وإن كان ذلك التكامل يخدم المصلحة الشخصية للصين، ويعزز تحسين فرص استثماراتها الاقتصادية. ولعقود من الزمن عزز صانعو السياسات الأميركية التكامل الاقتصادي لتوسيع نفوذ المنطقة في ما يخص التجارة مع أوروبا والولايات المتحدة أو الأسواق الأخرى. إن إيجاد مناهج أكثر كفاءة لصادرات دول المغرب الزراعية –أو ربط النقل وشبكات الكهرباء– من شأنه أن يزيد تنقل العمالة ويولد النمو الاقتصادي، ومع ذلك فشلت نخب الدول المغاربية السياسية في تحويل الخُطب الرنانة بخصوص التكامل الاقتصادي إلى واقع ملموس. والحقيقة المؤلمة هي أن غياب الثقة والخلافات السياسية مثلا حجر عثرة أمام المنطقة ومنعا تلك الدول من استثمار موارد وإمكانات رأس مالها البشري. ومن المؤسف أن تنجح الصين في ما فشلت فيه الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي في مجال تعزيز التكامل الإقليمي لدول المغرب العربي.

ولتجنب الوقوع في فخ المبالغة والتهويل في ما يخص الحديث عن الممارسات السياسية المفضلة لدى الكاتبين، ركزت الدراسة بصورة مفيدة على العمل من خلال المؤسسات متعددة الأطراف كخيار أول. والعمل بشكل ثنائي فقط عندما تدعو الحاجة إلى ذلك. وهذا النهج يتلاءم مع رغبة إدارة بايدن في القيادة الدبلوماسية، واستخدام التعاون الدولي والمؤسسات العالمية لحل العديد من مشاكل العالم. وبالنسبة إلى التحديات الهائلة التي تواجه شمال أفريقيا فقد يعني ذلك التنسيق الوثيق مع الاتحاد الأوروبي، أو مع وكالات الأمم المتحدة والمنظمات الإقليمية الأفريقية والعربية والمنظمات غير الحكومية الدولية المهمة التي تنشط في تنفيذ برامج التنمية والديمقراطية والمبادرات الإنسانية.

وسيُمثل جمع الموارد المالية والتقليل من تكرار وازدواجية الجهود استراتيجية ذكية للبرامج التي يقودها المدنيون والتي تهدف إلى الحكم الرشيد ومكافحة الفساد وبطالة الشباب وغيرها من التحديات المزمنة التي تواجه دول شمال أفريقيا. ويمكن للولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي تحسين تنسيق الجهود التي يقودها أشخاص ذوو تفكير متناظر، وسيكون ذلك دليلًا واضحاً على طريقة العمل المفضلة لإدارة بايدن.

أما بالنسبة إلى التحديات الأمنية (إدارة الحدود، منع الهجرة غير الشرعية، مواجهة الجماعات الإسلامية المتطرفة بما في ذلك داعش) فيصعب تنفيذ استراتيجية اللجوء إلى المنظمات الدولية. ويوصي تقرير "كارنيغي – يو أس أي بي" بالسماح للأمم المتحدة بفض النزاعات الإقليمية، لكن هذا النهج لم يثبت نجاحه، خاصة عندما يكون رعاة أطراف النزاع مختلفين في ما بينهم.

وفي ما يتعلق بالتطرف على الصعيد الداخلي لم تكن برامج بناء القدرات الثنائية والإصلاح القضائي كافية لتحقيق أي نجاح، وذلك ما تعلمه الفرنسيون من تجاربهم مع دول الساحل. ومع ذلك، أظهر المغرب والجزائر على وجه الخصوص كفاءة أكبر في التعامل مع التطرف الداخلي، وإن كان ذلك على حساب الحريات المدنية. ومن بين المفارقات أن هذين البلدين يمكن أن يكونا محركين لتعاون إقليمي أكبر في العديد من القضايا، لكن بسبب انعدام الثقة بينهما لم يتم إنجاز أي تقدم، مما يثير خيبة الأمل لدى القوى الخارجية.

لذا فإن ضمان ألا تكون شمال أفريقيا مصدرًا للفوضى ليس مسؤولية الولايات المتحدة وأوروبا فقط؛ إنها مسؤولية دول شمال أفريقيا أيضاً، حيث تعمل كل دولة من دول شمال أفريقيا الآن على تحسين الحوكمة في الداخل وتعزيز مزاياها الجغرافية كجسور بين أوروبا وأفريقيا. وقد لا تكون أميركا اللاعب الأكثر أهمية، لكن يمكنها استخدام نفوذها الدبلوماسي لتشكيل التطورات الإقليمية وربما منع القوى التحريفية –مثل روسيا والصين– من مد نفوذها بطريقة تعرقل مسار الإصلاحات السياسية والاقتصادية.

بثمن لوحة يا قطر

سهى الجندي
كاتبة فلسطينية

يتزاحم الآلاف من الشباب في غزة للحصول على تصريح عمل في إسرائيل التي احتلت الأرض واستعبدت أبناءها، فصاروا يتزاحمون للعمل لديها في أرضهم المغتصبة ليحصلوا على شيء بسيط من خيرات بلادهم، وهو أمر يدمي القلب لأن إسرائيل أخذت الأرض وصادرت كرامة شعبها، فلماذا يسعى أهل غزة للعمل لديها؟ ألا يدعي بعض الأعراب نصرة غزة؟ لماذا لا يغيثونها؟ أم أن نصرة الإسلام والإسلاميين هي نكاية وتسجيل مواقف لستر العورات؟ بثمن لوحة واحدة يا قطر يمكنك أن تزجي الملايين لغزة.

بالطبع ستقول قطر إن ذلك غير ممكن وإسرائيل لا تسمح بذلك. إذن كيف اتهمت غزة بأن صواريخها إيرانية؟ وكيف أمكن لإيران تهريبها إلى غزة؟ يبدو أن الدول تتلاعب بأهل غزة دعما لمواقفها السياسية واستدرارا للتعاطف الجماهيري حين يسقط الشهداء تباعا، أما في الخير الحقيقي، فلا يمكن إغاثة أهل غزة لأن إسرائيل لا تسمح، ولكنها سمحت بتهريب الصواريخ!

إن لدى قطر لوحات فنية يشتريها أغنياء قطر بالملايين في مزادات عالمية، وهم يتنافسون في ذلك. أما حين يصبح الأمر متعلقا بالنصرة الحقيقية لوجه الله، فإنه يصبح مستحيلا. فكيف دخلت الصواريخ إذن؟ يبدو أن هناك من يتلاعب بحماس وهي تستجيب بسرعة وتتعامى عن آثام حلفائها باسم الإسلام. هل هذا هو الإسلام؟ هل يأمر الإسلام بتهريب الصواريخ ولا يأمر باقتسام الزاد بين المسلمين؟ ألا تتجاوز قيمة اللوحات الفنية في قطر المليارات؟ ألا يمتلك أغنياء قطر محلات لبيع المجوهرات تقدر قيمتها بالمليارات؟ هل صعب عليهم تهريب مليار دولار إلى غزة لكي لا يقفوا بباب إسرائيل وقوف الكريم بباب اللئيم؟

هناك من يتلاعب بحماس وهي تستجيب بسرعة وتتعامى عن آثام حلفائها باسم الإسلام فهل هذا هو الإسلام وهل يأمر الإسلام بتهريب الصواريخ ولا يأمر باقتسام الزاد بين المسلمين؟

إن كل تصرفات الإسلاميين تجعل الناس ينفرون منهم ويفقدون الثقة بهم، لأنهم كاذبون ويأخذون من الإسلام ما يتماشى مع مصالحهم ولا يأخذونه بكليته ولو كانوا مسلمين حقا، لسخروا أموالهم في خدمة الإسلام وتحرير البلاد الإسلامية، وفي الواقع إن كل الإسلاميين يفعلون هذا ويجدون نصوصا شرعية تبرر نذالتهم وكذبهم. فالإسلام ليس مجرد عبادات وشعائر دينية بل يتعدى هذا بكثير، ولا يجيز الترف مع احتلال أرض المسلمين، وإذا أفتى شيخ بغير ذلك، فهو لا يفهم الإسلام جيدا.

إن كل مواقف الإسلاميين تجعل الناس يطالبون بالعلمانية وإقصاء الدين عن الأمور الدنيوية لأن الناس يستغلون الدين للكذب والدجل والهيمنة على الناس وستر العيوب وتبرير الأفعال الشائنة وتحقيق مصالح دنيوية. ترى الرجل خسيسا ونذلا، ولكن اسم الله والرسول يرددان في حديثه ألف مرة ليقنع الناس أنه مستقيم ونزيه. إن رجلا ملحدا ملتزما بالعدل والنزاهة ونظافة اليد خير ألف مرة من رجل مسلم يقتنص الفرص لتحقيق مصالحه الخاصة يتلاعب بالإسلام حسب مصلحته الدنيوية.

على من يدعي التحالف مع حماس والإسلاميين أن يكفيهم شر العوز والحاجة بدلا من تركهم يتزاحمون للحصول على عمل في إسرائيل، بصورة تكشف زيف هذه النصرة وهذا التحالف.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk